التبصر في أعمال السوق تفقه

- لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه -

تأتيني أسئلة واستفسارات عن قضايا وخلافات بين شركاء متخاصمين بعدما أضاعوا الآلاف والملايين.

لماذا يأتون بعد وقوع الفأس بالرأس؟ أليس من الحكمة أن يتحوط المرء لنفسه ولعمله وماله قبل أن يشرع بعمله؟

لقد أمرنا الله تعالى بحسن الإدارة وليس العمل دون إدارة. والإدارة تكون في أمور التجارة وغير التجارة.

وبما أن الكلام عن فقه الأسواق فلابد أن القصد إدارة أمور العمل والتجارة، ويشمل ذلك الدَين والأمانة.

فأين نجد الإدارة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؟

أهمية الإدارة والتخطيط ومنزلتهما:

يقول صلى الله عليه وسلم: السمتُ الحسنُ والتؤدةُ والاقتصادُ جزءٌ من أربعةٍ وعشرينَ جزءًا من النبوةِ، والسمت الحسن هو التخطيط الاستراتيجي لأنه يرسم إحداثيات نقطة بعيدة المدى، ويرسم طريق الوصول إليها والتؤدة هي فن التأني وهي الإدارة، وكذلك فالاقتصاد هو التوسط في الأشياء والاعتدال بها كالانفاق وغيره.

يقول الله تعالى: إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً **تُدِيرُونَهَا** بَيْنَكُمْ (البقرة: ٢٨٢). فإدارة التجارات والأعمال تتطلب تحقيق وظائفها وإتباع الأحسن والأفضل.

يقول الله تعالى: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ آل عمران.

ويعتبر قوله تعالى: **إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً**، من باب الإدارة، فوظائف الإدارة تكون في:

- التخطيط؛
- والتنظيم؛
- والتوجيه والرقابة.

والقيام يشمل هذه المعاني كلها.

فكيف ذلك؟

التخطيط :

اختيار الشركاء والعمال :

يزكي الشريك شريكه قبل العمل وبعد الاختلاف ووقوع الخلاف يقول غير ذلك . فهلا سألتم عمن يعملون معكم وعندكم؟ .

شهد عند عمر بن الخطاب رجل شهادة؛ فقال له : لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرفك فأت بمن يعرفك . فقال رجلٌ من القوم : أنا أعرفه . فقال بأي شيء تعرفه؟ قال : بالعدالة والفضل . قال : فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال : لا . قال : فمعاملك في الدينار والدرهم اللذين يستدل بهما على الورع؟ قال : لا . قال : فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال : لا .

قال : لست تعرفه . ثم قال للرجل : ائت بمن يعرفك .

أما طرق الاختيار فمتنوعة :

- اختيار رب العمل ومالكه عماله بنفسه، فالله عز وجل (تعالى عن التشبيه) يتخير من الملائكة والناس ما يشاء : اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿ ٧٥ ﴾ الحج .
- لما طلب أبو الدرداء تولي أمور الحكم وإجارة شؤونه، قال له صلى الله عليه وسلم : إنك ضعيف، وهذا لا يقلل من شأن الصحابي الجليل رضي الله عنه، بل هذه مسؤولية تحتاج حزما وإدارة . روى أبا ذر رضي الله عنه : قلتُ : يا رسولَ اللهِ! ألا تستعملُني؟ قال : فضرب بيدِه على منكبي . ثم قال : (يا أبا ذرٍّ ! إنك ضعيفٌ . وإنها أمانةٌ . وإنها يومَ القيامةِ خزيٌ وندامةٌ . إلا من أخذها بحقِّها وأدَّى الذي عليه فيها) .
- يمكن للعامل الخبير أن يعرض نفسه كفعل يوسف عليه السلام : قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿ ٥٥ ﴾ يوسف .
- يمكن ترشيح العامل من أطراف خبيرة كفعل ابنة شعيب عليه السلام بترشيحها لموسى عليه السلام : قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿ ٢٦ ﴾ القصص .

الكتابة :

تعتبر الكتابة أساس الحوكمة والرشادة في العمل وهي ما ندبت إليه شريعة الإسلام . فلمجلس العقد وما يتبادله أطرافه أهمية كبيرة في سير الأمور وكذلك عند حلّ العمل وانتهائه .

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ (البقرة : ٢٨٢)

الشهادة :

وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ (البقرة: ٢٨٢).

ويستفاد من الكتابة والشهادة القيام بالشهادة وعدم الارتياب .قال تعالى: وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا (البقرة: ٢٨٢).

استشارة الخبراء وأهل الاختصاص:

تعتبر الاستشارة والمشاورة من الأشياء الضرورية لإيجاد جو من المشاركة وعملية التشاور مؤداه عصف ذهني بين المتشاورين بما يحقق الرأي الأفضل.

قال الله تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ ١٥٩ ﴾ آل عمران.

قال صلى الله عليه وسلم: المُستشارُ مُؤتمنٌ.

قال علي رضي الله عنه: مشاورة الناس مشاركتهم عقولهم.

التنظيم:

إدارة الفرد لأموره:

يقول الله تعالى: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿ ٢٩ ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿ ٣٠ ﴾ الإسراء.

فمن لم يعتدل في سلوكه فبخل أو أسرف فنتيجة عمله لوم نفسه والتحسر عليها لما أوصله سلوكه إليه.

إدارة الشركاء لأمورهم وضرورة تجنب الظلم والتظالم:

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ (ص: ٢٤).

التوجيه والرقابة:

إنه باستعراض أقوال المفسرين لمعنى قوله تعالى (**إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً**) نلحظ ضرورة المتابعة والرقابة:

قال في التفسير الميسر: إلا إذا بذلت غاية الجهد في مطالبته.

قال في التفسير الوسيط: إلا إذا داوم صاحب الحق على المطالبة بحقه واستعمل كل الوسائل في الحصول عليه.

قال في تفسير البغوي: وأنت قائم على رأسه ولم تفارقه رده إليك، فإن فارقته وأخرته أنكره ولم يؤده.

قال في تفسير ابن كثير: بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقك.

قال في تفسير القرطبي: استدل أبو حنيفة على مذهبه في ملازمة الغريم، وأباه سائر العلماء.

قال في تفسير الطبري: إلا أن تلح عليه بالتقاضي والمطالبة.

وقال بعضهم: إلا ما طلبته واتبعته.

وقال بعضهم: مواظبًا.

الصلح وأدب الاختلاف:

قال تعالى: وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ (البقرة: ٢٣٧).

قال تعالى: وَالصُّلْحُ خَيْرٌ (النساء: ١٢٨).

قال تعالى: وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ (النساء: ١٢٨).